

الهوية الثقافية والدينية لبلاد شنقيط (موريتانيا)

الملخص

د. بوها محمد عبد الله سيدي¹

عرفت موريتانيا منذ القرن (18م) ببلاد شنقيط، نسبة إلى مدينة شنقيط التي كانت محطة انطلاق قوافل الحج القادمة من غرب إفريقيا، وبها اشتهر علماءها وأصبح يعرف كل منهم بالشنقيطي نسبة إليها، كما أصبحت توحى لفظة الشنقيطي في ذلك الزمان بالعالم المتبحر في مختلف العلوم الشرعية واللغوية. ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول الوقوف على أهم مراحل تشكل الهوية الثقافية والدينية.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الثقافة، الدين، بلاد شنقيط

* * *

Cultural and Religious Identity in Mauritania

ABSTRACT

Dr. Buha Muhammad 'Abdullah Sidi

Mauritania has been known since the 18th century by the city of Chinguetti, which was the starting point for the pilgrimage convoys coming from West Africa, where it became known through its scientists. Each of them knows by the name of Shankiti if he comes out of this country. And the name at that time refers to the scientist specialized in various sciences of Sharia and language

Keywords: History of Mauritania, Chinguetti, Shankiti, Shinqeeti

* * *

مدخل

عرفت موريتانيا منذ القرن (18م) ببلاد شنقيط، نسبة إلى مدينة شنقيط التي كانت محطة انطلاق قوافل الحج القادمة من غرب إفريقيا، وبها اشتهر علماءها وأصبح يعرف كل منهم بالشنقيطي نسبة إليها، كما أصبحت توحى لفظة الشنقيطي في ذلك

الزمان بالعالم المتبحر في مختلف العلوم الشرعية واللغوية. ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول الوقوف على أهم مراحل تشكل الهوية الثقافية والدينية.

خطة البحث:

مدخل

المطلب الأول: الهوية وتسميات البلاد:

المطلب الثاني: دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا:

المطلب الثالث: المكون العقدي والفقه الزوايا في بلاد شنقيط

المطلب الرابع: المذهب المالكي في بلاد شنقيط

المطلب الخامس: الزوايا الصوفية في بلاد شنقيط

المطلب الأول: الهوية وتسميات البلاد

أولاً: الهوية:

الهوية لغة من ضمير "هو" أما اصطلاحاً فتفيد معنى الاتحاد بالذات أي ما يكون به الشيء "هو هو" خالصاً بذاته وتميزاً عن غيره، ويشير هذا المفهوم إلى الضمير الجمعي لمجموعة بشرية ما، لها ما يميزها، من ثقافة ومعتقدات وعادات وتقاليد واثنيات وأعراف... الخ

والهوية من منظور فلسفي يعرفها الجرجاني بأنها: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"².

ويعرفها المعجم الوسيط على أنها: "حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره وبطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى البطاقة الشخصية أيضاً"³.

أما قاموس أكسفورد فيرى أنها: "حالة الكينونة المتطابقة، والمتماثلة إلى حدٍ التطابق التام أو التشابه المطلق"⁴.

والهوية عند صامويل هنتجتون تتلخص في التراث الديني واللغوي وكذلك الأعراف يقول: "... فالناس يعرفون أنفسهم من خلال النسب والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات والمؤسسات الاجتماعية، ويتطابقون مع الجماعات الثقافية (قبائل جماعات إثنية، مجتمعات دينية-أمم)"⁵.

ومن خلال التعاريف السابقة نخرج بتحديد عناصر الهوية في كليتها العامة ونلخصها في أمور ثلاثة: الدين واللغة والأعراق، والتي تنفرع عنها الجزئيات الأخرى المكملة للهوية.

كما أن الهوية كيان قابل للتأثير، يقوى بقوة أصحابه، ويتطور مع تطورهم، ويندثر بسبب إهمالهم وضعفهم، يقول محمد عابد الجابري:

”إن الهوية الثقافية كيان يصير، يتطور، وليس معطى جاهزا ونهائيا، هي تصير وتتطور إما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل منها في تغاير من نوع ما“.⁶

كما أن الهوية مهددة بالزوال، في حالات الضعف والسيطرة الاستعمارية؛ وهو ما يثير المخاوف لدى الأمم تجاه هويتها وثقافتها ونماذجها الحضارية، يضيف الجابري:

”ومع التطبيع والهيمنة الاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري يأتي فقدان الشعور بالانتماء للوطن أو الدولة وبالتالي إفراغ الهوية الثقافية من كل محتوى...“⁷

ثانيا: التسميات

عرفت موريتانيا منذ القدم بأسماء عدة منها صحراء المثلثين وبلاد التكرور وبلاد شنقيط وأرض المرابطين وهناك أسماء نعتت بها أقل انتشارا كالبلاد السائبة (السيبية) التي أطلقها عليها بعض العلماء⁸ كالعلامة سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم وأخيرا تسمية موريتانيا التي ظهرت بعد مجيء الاستعمار.

صحراء المثلثين:9

وهي تسمية قديمة عرفت بها قبائل صنهاجة¹⁰ (صنهاجة اللثام)، وسبب التسمية كما يرى البعض أن أجدادهم من حمير كانوا يضعون اللثام وظلت العادة سائرة مع أجيالهم بعد هجرتهم. وقيل إنهم تلتثموا بقصد التمويه والخوف على دينهم، وقيل أيضا إن طائفة منهم أغارت على عدو لهم فخالفهم إلى مواطنهم وهي خالية إلا من النساء والأطفال والشيوخ فأمر الشيوخ النساء بأن يرتدين لباس الحرب ويتلثمنن ففر الأعداء وهكذا اتخذوا اللثام سنة يلازمونه وارتقى عندهم ”حتى أصبح جزء معاداتهم وتقاليدهم.“¹¹

ويقول شاعرهم في مدحهم:

قوم لهم شرف العلى من حمير وإذا انتموا لمتونه فهم هم.

لما حووا إحراز كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا.

كما نعتهم ابن خلدون بالملثمين بقوله: "كان هؤلاء الملثمون في صحاريهم"¹².

بلاد التكرور:

أطلق كتاب ومؤرخو تنبكتو على موريتانيا تسمية بلاد تكرور،¹³ وهي لا تغطي كل البلاد خاصة المناطق الشمالية والشمالية الغربية.¹⁴ وقد ذكر المؤرخ المختار ولد حامدن أن تكرور قرية من مدينة بدور الحالية الواقع في فوطة¹⁵ السنغالية على ضفاف نهر السنغال.¹⁶ كما ضمن المؤرخون "تكرور" للمدن التي عدها تحت عنوان "بلاد السودان"،¹⁷ وكانت على المجوسية حتى تولى عليهم "وارجابي"¹⁸ سنة 432هـ. كما يؤكد عمر محمد صالح أن تكرور هي اسم جامع لعموم السودان الغربي أو إقليم السودان الغربي.¹⁹

ونستخلص مما سبق أن هذه التسمية لم تكن شاملة للبلاد الموريتانية وإنما فقط لأجزاء منها، وأن إطلاقها لم يقصد بها عموم التراب الموريتانية، وظل استخدامها يقتصر على بعض سكان هذا القطر.

1. بلاد شنقيط:²⁰

عرفت ببلاد شنقيط نسبة إلى مدينة شنقيط التاريخية في شمال البلاد وهي منطقة تجمع للحجاج من غرب إفريقيا عامة وموريتانيا خاصة، وقد تأسست هذه المدينة سنة 800هـ.²¹ ويرى الخليل النحوي أن هذه التسمية أطلقت على البلاد بعد تأسيس المدينة واكتسابها شهرة كمدينة علمية وأن أصل الكلمة بربري أو صنهاجي وأن من فسروه قالوا إن المعنى الحقيقي للكلمة هو "عيون الخيل" ومنهم العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، وهناك من قال بعربيتها وأن أصلها هو "سن قيط"، أي طرف جبل "قيط"، وهو جبل مجاور.²²

2. بلاد المغافرة:

عرفت ببلاد المغافرة نسبة إلى القبائل المغفوية الحسانية.

3. أرض البيظان: Pays des Maures

وعرفت البلاد الموريتانية في دفاتر الفرنسيين بأرض البيظان وإن كان يدخل في هذه التسمية أجزاء من بلدان أخرى، حيث كانوا يطلقونها على الحيز الجغرافي الممتد من نهر السنغال جنوبا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن جنوب الجزائر والمغرب شمالا إلى نهر النيجر شرقا.²³

ويشير الدكتور محمود بن محمد أن تسمية البيظان "Maures" عرفت تطورا دلاليا عبر العصور، فقد أطلقها الرومان قديما على المغرب الحالي وفي الفترة الوسيطة شاع هذا المصطلح للدلالة على المسلمين الذين فتحوا الأندلس، ليطلقها الفرنسيون على موريتانيا حاليا وأجزاء من جنوب المغرب والجزائر وأجزاء من جمهورية مالي.²⁴

4. بلاد المليون شاعر:

وهي تسمية أطلقها الكتاب العرب على هذا المنكب، لما رأوا من تعلق أهله بالشعر والتراث العربي والإسلامي.

5. موريتانيا Mauritanie

وقد وردت هذه التسمية أول مرة في تقرير الضابط الفرنسي جان فرانسوا كاي، سنة 1843، والمعنون بـ: "ملاحظات حول سكان موريتانيا وسكان بلاد الزنوج المتاخمين لنهر السينغال"، والذي ركز خلاله على تركيبة السكان و تقسيماته، وتقديم تقديرات بأعداد السكان وأعداد الثروة الحيوانية وطرق انتجاعه... إلا أن هذه التسمية لم تأخذ صبغتها الإدارية إلا مع الإداري الفرنسي (كوبولاني Xavier coppolanie) الذي ارتبط إسمه مع عملية إخضاع البلاد تحت وطأة المستعمر.²⁵

ويؤكد الأستاذ (محمد يوسف مقلد) ذلك قائلا: "موريتانيا، اسم لم أختره أنا، ولا اختاره أهلها، وإنما اختارته القوة الاستعمارية الأوروبية حين استعمرت الأقطار الإفريقية."²⁶

المطلب الثاني: دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا

إن القارة الأفريقية²⁷ هي أولى القارات التي حظيت بدخول الإسلام إليها -بعد ظهوره في الجزيرة العربية- ويرجع ذلك إلى هجرة المسلمين الأولين إلى الحبشة.²⁸

وقد جاءت موجات الفتح الإسلامي متلاحقة وأخضعت منطقة شمال إفريقيا نهائياً للإسلام في القرن 8م، ووصل العرب إلى شمال إفريقيا ونشروا الإسلام فيها...²⁹ بحلول القرن الثاني الهجري، كان من الطبيعي أن يمتد الفتح جنوباً، أي نحو الصحراء، بعد أن أمتد شمالاً حتى الأندلس.³⁰

يقول الدكتور يوسف فضل حسن عن انتشار الإسلام بعد هذه المرحلة "إن الإسلام بدأ انتشاره في القارة الأفريقية بعد سنواتٍ قليلةٍ من استتباب الأمر له في جزيرة العرب، فمن الركن الشمالي الشرقي للقارة الأفريقية تدفق العرب المسلمون حتى بلغوا ساحل المحيط الأطلسي، كما توغلوا تدريجياً عبر سواحل البحر والمحيط الهندي، ومنها انتقل الأثر العربي الإسلامي حتى شمل أجزاء كبيرة من القارة الأفريقية".³¹

ومع ذلك فإن المد الإسلامي لم يصل الصحراء إلا في مراحل متأخرة نسبياً، يقول أحد الباحثين: "على أن فتح المنطقة لم يتم بصورة نهائية إلا في عهد حاكم إفريقيا المسمى عبد الله بن الحجاب (734-840م) ...الذي توغل في الصحراء إلى أودغست، ورجع بأعداد من الأسرى.... ويفترض أنها وصلت إلى حدود نهر السنغال".³²

1. المرحلة الأولى

أورد المؤرخون أن بني أمية أرسلوا جيشاً في صدر الإسلام لفتح بلاد غرب إفريقيا، وأن ذرية هذا الجيش استقرت في بلاد غانا، وأن حملة إسلامية كانت موجهة لمطاردة البربر، وصلت في حركتها إلى بلاد السنغال حوالي عام 102هـ (720م) وعادت بكميات كبيرة من الذهب، وذكر القلقشندي، أن أهل غانة أسلموا أول الفتح وقد أسلم أحد ملوك غانة في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وهو تلو تان بن تكلان عام 837م، وأن بعض بني أمية توجهوا إلى كانم عند محتهم ببني العباس، ولاشك أن لهذه التحركات الإسلامية تأثيراً من جانب التعريف بالإسلام في تلك البلاد منذ زمن مبكر، وتؤكد قدم الإسلام في بلاد غربي إفريقيا، وبخاصة بلاد السودان الأوسط والغربي منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي).

2. دخول الإسلام لصحراء الملثمين: 33

وبعد مجيء الإسلام عرفت المنطقة هجرات متتالية أفرادا وجماعات، من الشمال والجنوب كان لها امتزاج في المجتمع الصنهاجي المسلم، ومع مرور الزمن تمت صياغة تلك المجموعات البشرية في دولة المرابطين مجتمعا مسلما متآلفا تختلط فيه الأعراق الصنهاجية (اليمنية) وبعض الأعراق العربية³⁴ (العدنانية) والأعراق الإفريقية (الزنجية).³⁵ وقد تغلبت هذه القبائل تدريجيا على المجال في شكل إمارات أو قبائل متنفذة، مما أشاع الحروب والسيية في المنطقة بسبب غياب سلطة مركزية رادعة للظلم، مقيمة للعدل منظمة لأمر البلاد والعباد.³⁶

وبعد أن آلت رئاسة القبائل الصنهاجية إلى قبيلة أكدالة في عهد يحيى ابن إبراهيم لجدالي (لكدالي)، في سنة 1030م ذهب إلى الحج³⁷ وتذكر بعض الروايات أن إبراهيم خرج طلبا للعلم على ما ذكر صاحب كتاب المغرب الكبير،³⁸ والذي لا خلاف فيه انه نزل بمدينة القيروان التي كانت العاصمة العلمية في المغرب الإسلامي، وحضر مجلس الفقيه أبي عمران الفاسي (شيخ المذهب المالكي آنذاك) وأرسل إلى شيخ المذهب المالكي بالسوس وكاك بن زللو اللمطي لينتدب له أحد تلامذته إلى الصحراء ، ليعلم صنهاجة الصحراء أمور دينهم، فكان: عبد الله بن ياسين، وقد لقي قبولا في بداية أمره، ليضيقوا به ذرعا بعد ذلك ، فقرر أن يرحل إلى السودان فأشار إليه الأمير يحيى أن يذهب إلى مكان ناء عن القوم.³⁹ وهنا لا بد أن ننبه أننا لا نعلم المكان الذي انزوى فيه عبد الله بن ياسين وأسس فيه رباطه حتى اجتمعت حوله ألف رجل.⁴⁰ فيشير البكري أن عبد ابن ياسين خرج مستخفيا من بين قبائل كدالة لما ضاقوا به ذرعا، وتوجه شمالا إلى شيخه وكاك بن زللو، فأرسل هذا الأخير رسالة يذكر فيها كدالة لما ظهر منهم في بداية الأمر من قبول واستحسان لتعاليم الدين وتقدير أهله وعائبتهم على فعلهم، ووعدهم بالقتال لأنهم خارجون عن الجماعة، وبعد عودته بدأ ابن ياسين في قتالهم حتى استولى على الصحراء.⁴¹

”ويقول المؤرخون الأفارقة من أهل غرب إفريقيا إن الإسلام وصل إلى حوض النهر السنغالي بعيد وصوله إلى الشمال الإفريقي بزمان يسير، ومؤرخو شمال وغرب إفريقيا الإسلاميون لم يختلفوا في أن عبد الله ابن ياسين مؤسس حركة المرابطين كان قد التجأ إلى جزيرة في السنغال بعد أن رفضه البربر الذين كانوا أصلا سبب مجيئه

إلى إقليم الغرب الأقصى من شمال إفريقيا لدعوتهم ولتعليمهم أمور دينهم وتنقيفهم أصول شريعة هذا الدين،⁴²

أما ابن عذاري فقد أورد روايتين الأولى مطابقة لرواية البكري والثانية هي أن ابن ياسين لما خرج من كدالة خائفا على نفسه، توجه إلى لمتون واستقبله زعيمها يحي بن عمر بحفاوة واحتضنه فأرسل عبد الله إلى شيوخه اللمطي بما حدث فكتب اللمطي لجماعة من كدالة يعاتبهم ويعيب عليهم نكوصهم وصدهم عن الحق، فلما وصل رساله اللمطي للمجموعة التي كتب لها اعتذرت عما جاء منها، وعاد إليهم عبد الله ودعاهم فاستجابت قبائل من صنهاجة و أمر بقتل الخارجين.⁴³

والمؤكد أن عبد الله بن ياسين 44 أسس في منطقة الصحراء للدعوة والتعليم وتدرج في دعوته حتى وصل مرحلة الجهاد وفتح الصحراء لتصبح دولة إسلامية بعد أن كانت قبائل أمية متناحرة.

3. في الصحراء والسودان الغربي:

الدولة الثانية هي دولة الملتمين بالمغربيين الأوسط والأقصى، وهي التي اضطلعت بالدور الأكبر في نشر الإسلام في بلاد السودان، وتشكل بذلك المرحلة الثانية من مراحل انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في البلاد الإفريقية في جنوبي الصحراء بصفة عامة، وكان المرابطون أو الملتزمون قد بدءوا حركتهم في نشر الدعوة بين قبائل البربر أولا ثم انطلقوا جنوبا عبر الصحراء إلى بلاد السودان، وكان القطب الروحي لحركة المرابطين هو عبد الله بن ياسين الجزولي (ت 451هـ - 1059م)، الذي نشر الدعوة بين سكان غانا الذين -بدورهم- نجحوا في تحويل هذه الدولة وتحملت قبائل السوننك وزداد نشاطها لبث الدعوة الإسلامية بين القبائل الإفريقية الأخرى فيما بعد.⁴⁵

4. المرحلة الثالثة: دولة مالي الإسلامية:

كان الماندينجو مؤسسو الدولة المالية، أكثر تحمسا للإسلام والدعوة له، كما كان لملوك مالي الآخرين الفضل في نشر الإسلام، ومن أشهر هؤلاء الملوك الذين بذلوا جهودا كبيرة في نشر الإسلام والدعوة له، الملك منسي موسى (1307-1332) الذي

يعتبر من أعظم ملوك هذه المملكة التي بلغت في عهده أوج عزها ومجدها، وقد استطاع قواده أن يفتحوا ولاتة وتنبكتو وأن يضموا جوا (Goa) في أواسط النيجر.⁴⁶

وأما تاريخ دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا بالتحديد فقد رجّح بعض علماء هذه المنطقة القول بأنّ دخول الإسلام إليها يرجع إلى القرن الأوّل الهجري على يد عقبة بن نافع الصّحابي الجليل،⁴⁷ إذ أنّه وصل إلى قبيلة من قبائل المنطقة فدعاهم إلى الإسلام فأسلم ملكهم من غير قتال وتزوّج عقبة بنت ذلك الملك واسمها (بج منع)، فولدت له أولاداً نشأوا في بلاد أمهم وتكلّموا بلغة أبيهم.

ولما جاء الإسلام ودان به كثير من شعوب إفريقيا عمل أمراؤها وملوكها بالنظام الإسلامي، وكان للعلماء والفقهاء دور عظيم في تبين أحكام الله ورسوله فيما يصدر للناس في حياتهم الفردية والاجتماعية. وعلى كلّ إقليم أو قطر إسلامي ملك أو سلطان يحمل لقباً معيناً مثل: "الماي" لأهل برنو، و "المنسا" لأهل مالي، و "الزا" و "السن" و "أسكيا" لأهل سنغاي، و "سركي" لأهل هوسا.

وأكثر أولئك السلاطين علماء وفقهاء، وإذا لم يكن السلطان نفسه عالماً فقيهاً اتخذ أحد العلماء البارزين وزيراً يدير له الدولة على وفق الشريعة. ولا بد من هيئة شورية من كبار العلماء والفقهاء، على ما سن الخليفة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من الأنظمة، لذلك يقب أكثرهم بأمير المؤمنين. وأول من تلقب بأمير المؤمنين في هذه المنطقة هو محمد أسيكيا الأكبر ثمّ الشيخ عثمان بن فودي وخلفاؤه، وكان له أمراء في الأقاليم على نحو ما للخلفاء من الولاة والحكام والأمراء. ولكل أمير في إقليمه وزير الدولة وقائد الجنود وإمام الصلاة، وقاضي القضاة، وكبار العلماء، وكبار الجنود، وعمال الولايات.

المطلب الثالث: المكون العقدي والفقهية والزوايا في بلاد شنقيط

أولاً: العقيدة الأشعرية ودخولها لبلاد شنقيط

تقوم العقيدة الأشعرية على مؤلفات أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري في المجال العقدي و الفكري كـ: (الإبانة في أصول الديانة) و(مقالات الإسلاميين) و(اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع). وقد نشأ الأشعري متكلماً على نهج شيخه الأول أبي علي الجبائي (330هـ - 941م)، ثم تطور بعد ذلك فكان مذهبه يختلف عن مذهب شيخه المعتزلي، فأأسسه مزيجاً بين النقل والعقل⁴⁸ مع تحكيم النقل في العقل

عند ظاهر التصادم، ومن الناحية التاريخية ارتبطت العقيدة الأشعرية بمذاهب أهل السنة والجماعة وخاصة المذهبين المالكي والشافعي وتبني أتباع المذهبين للعقيدة الأشعرية في الغالب كالباقلائي (ت 403هـ-1012م)، وأبي إسحاق الإسفراييني وابن فورك والجويني (ت 478هـ-1085م)، والغزالي (ت 505هـ-1111م) وغيرهم.⁴⁹

وقد عرفت العقيدة الأشعرية طريقها إلى المغرب الأقصى بشكل كبير قبل أواخر القرن 5هـ-11م، عن طريق أبي بكر بن محمد ابن الحسن الحضرمي المرادي، وهو: ”...أول من أدخل علوم الاعتقادات، بالمغرب الأقصى، فلما توجه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء حمله وولاه القضاء بأزوكي... فخلفه أبو الحجاج في علم الاعتقادات...“⁵⁰

وقد انتشرت العقيدة الأشعرية ”بعد تقلص المد الشيعي الفاطمي على إفريقيا بدأت بوادر الفكر السني الأشعري تهب رياحها من بغداد. ففي النصف الثاني من القرن الرابع جَدَّ عنصر مهم سيكون له أثر واضح في نمو الأشعرية بالقيروان وذلك هو ظهور القاضي أبي بكر الباقلائي(ت 403هـ)“.⁵¹

وتتقاطع الأشعرية مع العقيدة الماتردية في علم الكلام وهما مع الطحاوية التي على المذهب الإمام أحمد بن حنبل يستأثرون بعقائد أهل السنة والجماعة في مقابل الفرق الأخرى: الشيعة والمعتزلة والخوارج.⁵²

يقول عبد الواحد ابن عاشر في مقدمة منظومته المرشد المعين على الضروري من علوم الدين:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد⁵³ السالك.

ومع ذلك يشير بعض الباحثين إلى أن صمت المراجع المغربية والأندلسية عن المرادي وعدم تعرضها للحديث عنه ما هو إلا إعراض عائد إلى نفور فقهاء المالكية بتلك البلاد من علم الكلام.⁵⁴

ويرى الدكتور الناني ولد الحسين أن أبا الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير هو الذي نشر مؤلفات شيخه المرادي⁵⁵ في العقيدة بالمغرب، وقد أكدت المصادر أنه اخذ عنه علم الكلام وكان يتردد عليه في أزوكي بالصحراء.⁵⁶

1. دخول الأشعرية إلى المغرب:

ظل المغرب على العقيدة السلفية حتى ظهور المهدي بن تومرت، يقول ابن خلدون: "وجاء المهدي على أثرهم (الدولة المرابطية)، داعيا إلى الحق آخذا بمذاهب الأشعرية، ناعيا على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة، وما يؤول إليه ذلك من التجسيم، كما هو معروف في مذهب الأشعرية".⁵⁷

و يؤكد المقرئزي⁵⁸ أن ابن تومرت زار العراق وأخذ مذهب الأشعري عن أبي حامد الغزالي، ثم رجع إلى المغرب وقام يلقت الناس العقيدة الجديدة، وبعد وفاته خلف تلميذه عبد المؤمن بن علي حتى سيطرت دولة الموحيين.⁵⁹

ومع ذلك فالواضح أن ابن تومرت ليس هو أول من أدخل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب، فقد سبق للفقهاء أبي عمران الفاسي (ت 430هـ)، أن شد الرحال إلى بغداد في عام 399هـ، وتلقى أصول المذهب عن القاضي أبي بكر الباقلاني (403هـ). كما رحل أبو الوليد الباجي (ت 474هـ)، إلى المشرق وتردد على كثير من مراكز العلم، وجلس بالموصل سنة فأخذ عن أبي جعفر السمناني (ت 444هـ). وأيضا سافر أبو بكر محمد بن عبد الله العربي المعافري (543هـ)، إلى بغداد ودرس في المدارس النظامية. وأخذ العقيدة الأشعرية عن أبي حامد الغزالي وإسماعيل الطوسي ورجع إلى المغرب 494هـ. وكان ذلك قبل رحلة ابن تومر إلى المشرق بست سنوات.⁶⁰

والواقع أن علماء المغرب وإن كانوا قد عرفوا هذه العقيدة قبل ابن تومرت فإنهم لم يشتهروا بها، لأنهم لم يدعوا إليها عامة الناس، وهذا ما بدأ به ابن تومرت.

2. العقيدة عند أهل شنقيط:

عرفت بلاد شنقيط العقيدة الأشعرية مع مجيء دولة المرابطين،⁶¹ وكان أهل الحل والعقد من العلماء ينطلقون في فهم المستجدات والحكم عليها و التعبير عنها من الخلفية المركبة من: العقيدة الأشعرية والفقهاء المالكي وطريقة الجنيد.

وقد يكون مما ساعد على تجذر العقيدة الأشعرية التوفيقية طبيعة حياة المجتمع البدوي الذي يميل إلى الاعتدال والتوسط والتوفيق بين الأشياء كما هي سمات العقيدة الأشعرية.⁶²

يقول المتنبي:

إنما تنجح المقالة في المرء إذا وافقت هوى في الفؤاد

كما أن تأخر ظهور الأشعرية في شنقيط يعود إلى أن القيروان المركز المالكي في شمال إفريقيا لم تكن قد عرفت منذ القرن 4هـ، هذا المنحى العقدي نظرا إلى تأخر ظهوره في مصر التي لم تتغلغل فيها الأشعرية إلا في بعد انتهاء الوجود الشيعي الفاطمي بها⁶³

3. الاتجاهات السلفية في العقيدة الشنقيطية:

ذهب الشناقطة في مشاربهم الفكرية في اتجاهات ثلاث: اتجاه أشعري عقلائي متوسع في مذهبه يؤمن بالمنطق الصوري وعلم الكلام المنطقي وتمثله مدرسة المختار بن بونة. واتجاه سلفي نصاني يعادي علم الكلام والمنطق اليوناني متأثرا بالظاهرية والوهابية يمثلها المجيدري اليعقوبي، والاتجاه الثالث اتجاه صوفي قوامه التبحر في العلم والاستقامة في السلوك يمثلها الشيخ سيدي المختار الكنتي.⁶⁴

وقد تصارعت الاتجاهات الثلاثة في بعض المراحل كما حدث بين المختار بن بونة والشيخ سيدي المختار الكنتي، وانتهى الأمر بالتراضي والتفاهم بين الرجلين دون اتفاق المشريين.⁶⁵

وفي الجانب الآخر دار صراع ساخن بين المختار بن بونة والمجيدري اليعقوبي وجماعته. والغريب كما يقول الخليل النحوي أن اليعقوبيين كانوا أهل علم باللغة وإنما استقدموا المختار ليدرسوا عليه علم الكلام وكان مجليا فيه . ثم كان صراعهم معه صراعا كلاميا، سار فيه الطلبة على غير نهج أستاذهم، فاتهموه بتوهين الدين والابتداع فيه والعدول عنه إلى المنطق اليوناني وفي ذلك يقول الشاعر المامون بن محمد الصوفي اليعقوبي:⁶⁶

قد جرت معتسفا يا هادي الطرق وانه البحر لا يقتلك بالغرق.

أكثرت حرك لو دريت مفصلة فادر المفاصل قبل الحز واستنق.
 ما الدين إلا الذي تسعى لتوهنه أي النبي وآثار الهدى العتق.
 لا كل خبط عن اليونان مبتدع قد سن بين أصول الدين مختلف.
 إن قلت ساغت لمن تمت قريحته أو أن تخلص لنا من مسلم تلق.
 ردا بأن أبا حفص قد أوردها وردها المصطفى منه على تلق.
 كما البخاري في التوحيد أخرجه والحبر أحمد والبخار في طرق.⁶⁷

ويؤكد الباحثون أن لمجيدري لم يقع في خلافه مع معلمه إلا بعد رحلة المجيدري إلى الحج وعودته مما يرجح كونه تأثر بأستاذ لقيه في رحلته أو أن يكون عاد متأثراً بالحركة الوهابية التي كانت يومئذ في بدايتها هناك. ولكن هذا التأثير لم يكن عميقاً، أو كان الرجل متحرراً في الاجتهاد، لكونه تلقى أيضاً الطريقة الشاذلية أو الخضرية بالمغرب.⁶⁸

4. دخول الأشعرية إلى موريتانيا:

وينتظم أهل هذه البلاد في خط فكري مذهبي واحد هو الخط السني الأشعري العقيدة على ضوء مؤلفات السنوسي في العقيدة وفي الفقه المالكي المتون المعروفة بمختصر الشيخ خليل- الرسالة لابن أبي زيد القيرواني- التحفة لابن عاصم وشروحها خاصة على أيدي الفروعيين المتأخرين، وما استتبع ذلك من ابتعاد عن التجديد والاجتهاد أكثر الأحيان، أما في علوم اللغة فيعتبرون الشعر الجاهلي المثل الفني الأعلى يدرسونه ويقلدونه، وفي النحو أخذوا بالمنهج البصري على شرعة ابن مالك في كتبه.⁶⁹

ولا شك أن الأوضاع الدينية في بلاد شنقيط ظلت غامضة خاصة بعد سقوط دولة المرابطين في القرن الثاني عشر الهجري،⁷⁰ حيث زار القطر الشنقيطي عدة علماء ورحالة عرب، حيث ذكروا انتشار العقيدة الفاسدة بعد سقوط المرابطين وابتعاد أهل هذه البلاد عن العقيدة السلفية الصحيحة، ومن بين هؤلاء الرحالة ابن بطوطة، حيث يقول: "أما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه و حفظ القرآن، وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجن مع مواظبتهم على الصلوات،

ويقول -أيضا- متحدثا عن نظام التوريث في ولاته إنه مخالف لأحكام التوريث في الإسلام،⁷¹

5. مكانة العقيدة الأشعرية في ترتيب المعارف المحظرة:

يقرأها بعضهم قبل البلوغ، ويمضي سنين عديدة في إتقان تأليف السنوسي، حتى لا يبقى عليه منطوق ولا مفهوم ليصير عندهم مؤمنا حقيقة، وإلا فإنه إذا كان لا يقدر على معرفة أنواع الصفات، وتعيينها بالألفاظ المتداولة عندهم فهو عرضة للكفر⁷²

6. العلماء الشناقطة ورحلات الحج، التائر والتأثير:

لقد اتجهت أفواج من خريجي المحاظير الشنقيطية إلى علماء المغرب، واعتنوا بمؤلفات السنوسي في العقيدة الأشعرية، عناية فائقة جعلتهم يستوعبون حفظا وفهما وينظمونها وينظمون مؤلفاتها، ومن ذلك نظم المختار بن بونة:

نظما حوى عقائد الشريف محمد السنوسي الظريف.

أخصت فيه ما حوته الصغرى مع ضمن وسطاه وضمن الكبرى.

سميته وسيلة السعادة في نشر ما تضمن الشهادة.⁷³

وقد ظهر بعد السنوسي،⁷⁴ ابن عاشر⁷⁵ وكان لكتبه رواج كبير في البلاد، الموريتانية، وخاصة كتابه: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين الذي يعتبر مقامة للمبتدئين .

وهنا نتوقف مع نماذج من العلماء الذين أخذوا العقيدة الأشعرية في بلاد شنقيط:

أ - نماذج من العلماء الشناقطة الذين رحلوا إلى المغرب وأخذوا العقيدة الأشعرية:

1. ابن رازكة:⁷⁶ وقد ترجم له البرتلي، فيقول: عالم فذ كان عارفا بعلم الأصول، وماهرا في المنطق، أخذ عقائد أهل السنة، وعلم المعاني والبيان والمنطق ممن أدركه من علماء المغرب الأقصى والسوس الأدنى كالسيد أحمد العطار، وأبي مدين القاضي الأكبر، وغيرهما.⁷⁷

ومن تلاميذ ابن رازكة الذين اشتهروا بعده ونشروا العقيدة الأشعرية على نطاق واسع المختار بن بون حامل لواء الأشعرية.

2. الشيخ محمد عبد الله بن أبي بكر: 78 درس على الشيخ أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي القراءات العشر، وعلوم أخرى، وعاد إلى أهله بمكتبة كبيرة، وقد وصفه البرتلي بقوله:

”كان إماما جليلا، صدرا من صدور العلماء بحرا من مفاخر النجباء، لا تكدره الدلاء، محبا للسنة مميتا للبدعة انتهت إليه رئاسة الإقراء ببلاد التكرور في زمانه وبعد صيته.“⁷⁹

3. العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، الذي رحل إلى الحج وفي طريق عودته مر بالمغرب ومكث فيها عدة سنوات فدرس العقيدة الأشعرية، والفقهاء المالكي على عدد من علماء المغرب منهم: الشيخ البناني محشي شرح عبد الباقي الزرقاني، على مختصر خليل بن إسحاق، والشيخ التاودي المعروف بابن سودة، وعمر الفاسي شارح اللامية. كما أخذ أيضا الطريقة الشاذلية، وعاد إلى بلاده حاملا معه مكتبة ضخمة.⁸⁰

4. محمد الحافظ بن محمد المختار بن حبيب العلوي المتوفى عام 1236هـ، لأداء مناسك الحج وفي عودته هو الآخر بالمغرب استقر فيه عدة سنوات، وأثناء إقامته في مدينة فاس، لقي بها أحمد بن محمد المختار التيجاني المتوفى عام 1230هـ وأخذ عنه طريقته، ثم عاد إلى بلاده بعد أن نهل من العلوم والمعارف فأصبح أشعريا تيجانيا مشهورا.⁸¹

وقد استحكم في نفوس المغاربة المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، ووصل الأمر إلى أن بعض ملوك الدولة في المغرب يعرف نفسه بأنه مالكي المذهب، وأشعري العقيدة. ومن ذلك تفریط للملك المغربي عبد الحفيظ، بن الحسين على كتاب للشيخ محمد حبيب الله بن مايابي الشنقيطي يقول فيه : كتبه عبد الحفيظ المالكي مذهباً والأشعري عقيدة.⁸²

ب. نماذج من العلماء المغاربة الذين زاروا شنقيط:

1. **نور الدين أبو الحسين علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري العالم النحوي، المتوفى عام 724هـ، رحل من المغرب إلى بلاد التكرور (موريتانيا)، ودرس بها القرآن ثم قدم القاهرة، وأخذ عنه العربية بها جماعة من بينهم جمال الدين الأسنوي⁸³ وغيرهم.**

2. **أحمد الذهبي: الشريف التلمساني، الفقيه، رحل إلى مدينة شنقيط في أواخر القرن العاشر أوائل القرن الحادي عشر، وأقام بها مدة، يدرس علوم الدين، وهو أول من درس مختصر خليل بن إسحاق في موريتانيا،⁸⁴**

3. **الشاب الشاطر: وهو شريف علوي حسني من أهل مدينة فاس ذكره البرتلي باسم: الشريف الشاب، وقال إنه كان حيا في عام 1045هـ، وأشاد بعلمه، وقد انتخب أربعة من نوابغ الطلاب ليعلمهم ولما أراد السفر قال لهم "تركت فيكم المحمدين والعبدين". وقد أختار من هذه المجموعة الطالب محمد بن الأعمش الذي هو أحد المحمدين، ولم يعين صاحب الوسيط من العبدلين سوى القاضي عبد الله بن الطالب محمد قائد هجرة العلويين من شنقيط إلى بلاد القبلة.⁸⁵**

ورغم ضمور المراجع المتوفرة عن الحياة الدينية في هذه البلاد في تلك الفترة، فالمعلومات التي تحدثت عن الحالة العقديّة في هذه الحقبة التاريخية تصف مستوى من الانحراف بدأ يظهر بعد سقوط دولة المرابطين.

وتطلعنا رسالة محمد بن محمد بن علي اللمتوني التي أرسلها إلى جلال الدين السيوطي في شوال عام 898هـ، ما يدل على أن بعض أهل البلاد رجعوا إلى الشرك والوثنية، بعد عهد المرابطين، حيث يقول فيها: " ومنهم من عادته بناء المساجد، وتلاوة القرآن والعلوم والمدائح والحج، ومع ذلك يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، ومنهم من يجحد البعث، والحشر والنشر والحساب، والثواب والعقاب ، وعندهم طلسمات للنكاح والبيع والشراء والمحبة وغير ذلك".

كما أن الفقهاء ابتعدوا عن الكتاب والسنة حيث ورد في هذه الرسالة عن الفقهاء في تلك البلاد: "عادتهم ترك القرآن والسنة، وأخذ الرسالة، والمدونة الصغرى، وابن الجلاب والطليلطي، وابن الحاجب حتى عادوا من يفسر القرآن وإذا سمعوا آية تتلى لتفسيرها نفروا عنها".⁸⁶

وفي هذه الظرفية بالذات بدأت العقيدة الأشعرية تنتشر وتترسخ في القطر الموريتاني حين ظهر علماء أشاعرة مشاهير في المغرب، ونقلت مؤلفاتهم إلى محاضر موريتانيا، حيث اعتمدت في مناهجها، وكان من أهم أسباب انتشار المذهب الأشعري في المغرب، ظهور رائده السنوسي التلمساني.⁸⁷

المطلب الرابع: المذهب المالكي في بلاد شنقيط

يحتل الفقه مكانة متميزة في الثقافة العربية والإسلامية حتى قيل إن الحضارة العربية هي في المقام الأول حضارة فقه.⁸⁸ "ويمثل القرنان (12هـ و13هـ) قمة عطاء الثقافة الموريتانية بعد ما عرفته سماتها النبوية ومسارها العام من تغير ابتداء من نهاية القرن 10هـ/16م، حيث أخذت التقاليد العلمية تهجر مراكز ومحطات مدن القوافل "الساحلية" إلى الأرياف البدوية المرتبطة بالتجارة الأطلسية مع اكتمال انتشار بنى حسان في المنطقة وإحكامهم قبضتهم على مختلف فئات المجتمع⁸⁹ كما يشكل أصحاب هذا الحقل سلطة مرجعية بالنسبة لهذا المجتمع.

وقد اهتمت الحركة الإستشراقية بدراسة المذهب المالكي بشكل كبير ومن أمثلة ذلك المستشرق الفرنسي (أوكتاف هوداس O. Houdas)، الذي ألف في الفقه المالكي والتاريخ المغربي الحديث، إلى جانب ترجمة لمعاني بعض سور القرآن الكريم.⁹⁰

كما ركز المستشرق الفرنسي (بلانشي Blanchet)⁹¹ في زيارته لمنطقة آدرار (شمال موريتانيا) على دراسة الحياة الدينية لأهل المنطقة، حيث تعرف على المذهب السائد والطرق الصوفية المتبعة، ومدى اهتمام الناس بأداء العبادات والانصياع لأوامر الزعامات الروحية: وخلص في نهاية تقريره المعنون ب: مهمة في آدرار: Rapport de mission en Adrar، إلى أن الزعامات المتنفة قادرة وتتبع المذهب المالكي و عامة الناس مقلد لهذه الزعامات على حد وصفه.⁹²

فالمذهب المالكي هو المذهب السائد في هذه البلاد وفي شمال وغرب إفريقيا منذ وصوله إلى المنطقة وحتى اليوم. وقد وصل إلى شمال إفريقيا علي يد أسد بن الفرات المتوفى 213هـ وعبد السلام بن سعيد الملقب ب سحنون التنوخي المتوفى 240هـ، أما في المغرب الأقصى فقد وصل على يد أبي ميمونة دراس بن إسماعيل الحراوي المتوفى 375هـ، وكان أهله قبل ذلك على المذهب الحنفي.⁹³

وهكذا فقد ساد في بلاد شنقيط المذهب السني المالكي⁹⁴ -في روايته القاسمية- الذي يُعتبر الاحتياط في أمور الدين وسدُّ الذرائع من مبادئه الأساسية. وقد حلت مختصرات هذا المذهب محلَّ أمهاته "حتى أصبح المعول النهائي على الأحكام الواردة في مختصر خليل بن إسحاق وشروحه وحواشيه حيث اشتهر تمثل الفقهاء الشناقطة بعبارة الشمس اللقاني: "نحن قوم خليليون فإن ضل ضللنا"⁹⁵.

وقد امتدت فترة دخول المذهب المالكي لتونس والأندلس ثم المغرب الأقصى، من بداية القرن الثاني وأواسط القرن الرابع الهجري، وينتهي عصر الرواد الأوائل بوفاء الإمامين:

1. دراس بن إسماعيل الفاسي سنة 358هـ بالمغرب،

2. أبي عبد الله محمد ابن أبي زيد القيرواني، سنة 386هـ بتونس⁹⁶.

أما الأندلس التي كانت تتبنى المذهب الأوزاعي، فقد دخلها المذهب المالكي على يد رجال من أهلها أخذوا عن مالك في المدينة، في عهد عبد الرحمن الداخل، وأخذ بهذا المذهب الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية رسمياً وحمل الناس على أتباعه وأمر القضاة باعتماده في القضاء سنة 170 هـ، في حين دخل المذهب المالكي إلى المغرب الأقصى في عهد إدريس بن عبد الله، مع أنه لم ينتشر فيها بشكل كبير في بداية القرن 4هـ، على يد دارس بن إسماعيل المتوفى سنة 357هـ الذي تعتبره بعض الروايات أول من جاء بمدينة سحنون إلى هذه البلاد⁹⁷.

من جهة أخرى "لئن سيطر المذهب المالكي بالأندلس منذ نهاية القرن 2هـ 8م، وبإفريقية منذ منتصف القرن 3هـ 9م، فإن ذلك كان في المغرب الأقصى في عهد المرابطين. ولئن ظهرت في إفريقية مدرستان فقهيّتان داخل المذهب المالكي وهما المدرسة القيروانية والمدرسة التونسية، فقد ظهرت بالأندلس على ما ذكر محمود علي مكي، واعتماداً على مبدأ العمل المحلي، مدارس فقهية مالكية منها مدرسة مجريط ومدرسة ظلمنكة ومدرسة قرطبة. أما في المغرب الأقصى فقد برزت على الأقل مدرستان هما المدرسة السبتية والمدرسة الفاسية"⁹⁸.

وقد كانت منطقة المغرب والأندلس -حتى قبيل سيطرة المرابطين على معظم أجزائها- عبارة عن ساحة تتصارع فيها النحل والمذاهب المختلفة، بل إن سكان بعض

الجهات فيها ارتدوا عن الإسلام، واستولى النصارى على جهات أخرى وشردوا أهلها وأصبحوا يفرضون الجزية على المسلمين، ففي المغربين الأقصى والأوسط، ظهرت الدولتان الخارجيتان اللتان قامتا في سجماسة وتاهرت خلال القرن 2هـ، قبل أن تسقطا على يد الفاطميين في أواخر القرن 3هـ، وتهيئة الظروف لانتشار المذهب الخارجي بفرعيه الإباضي والصفري بين سكان المنطقة، فضلا عما أدى إليه قيام الدولة الفاطمية في المغرب من ذبوع للتشيع بين سكانه وأخذ بعضهم به.⁹⁹

كما تحدث البكري ومصادر أخرى عن وجود جماعات متشعبة كالصفيرية في المغرب الأقصى و الإباضية التي استقر بعض أتباعها في صحراء الملثمين.¹⁰⁰ أما ابن حوقل فيقولنا على وجود الشيعة بالسوس ”...ومن بالسوس ونواحي درعة شيعة...“¹⁰¹

ويضيف ابن أبي زرع واصفا أهل تارودانت: ”وكان يرودانة قوم من الروافض يقال لهم البجلية في إفريقية، فشاغ هنالك مذهيم، فورثوه جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن لا يرون الحق إلا ما بأيديهم“.¹⁰²

”وبالإضافة إلى توزيع السكان بين المذاهب والمعتقدات المختلفة، فإن حكام الدويلات الزناتية التي تقاسمت المغرب الأقصى خلال تلك الفترة مارسوا من الظلم والجور قدرا فقدت معه الرعية الأمن ولم يعد هنالك اطمئنان على الأنفس والأموال“.¹⁰³

ويشير ابن حوقل إلى أن الأمر لم يقتصر على ضعف الوازع الديني بين السكان والحكام، ولا على ذبوع النحل والمذاهب المختلفة في المنطقة وتوزيعها لأهواء الناس، وإنما أدى عدم وجود سلطة سياسية مركزية قوية وقادرة على إجبار السكان على التمسك بالشرعية، إلى انتشار العادات والأخلاق المناهية للإسلام في معظم أرجاء المغرب خلال النصف الثاني من القرن 4هـ/10م.¹⁰⁴

ويضيف بعض الباحثين إلى أن الردة حدثت بشكل صريح مثل ما وقع بالنسبة لقبيلة برغواطة في منطقة تامسنا، التي اتبعت منذ سنة 125هـ-743م، شخصا يدعى صالح بن طريف ادعى النبوة، واستقرت خلافته في عقبه، وظل أتباعه يتزايدون حتى منتصف القرن 5هـ-11م، عندما قضى عليهم المرابطون.¹⁰⁵

كل هذه الأمور دفعت المرابطين في الصحراء إلى العمل على ترسيخ المذهب المالكي وتشجيع تدريس كتبه، وتقريب الفقهاء المالكيين وأشركوهم في تسيير دولتهم.¹⁰⁶ وبذلك "رسخت بين صفوف صنهاجة الصحراء الإسلام السني على المستوى العقدي ونشرت على الصعيد الفروعى، المذهب المالكي في صياغته المرابطية".¹⁰⁷

وقد هيمن في البلاد الشنقيطية رافدان أساسيان هما الرافد السوداني المصري مجسدا في مدرسة تنبكتو التي أخذ نجمها في الأفول مع نهاية القرن 10هـ/16م، والرافد المغربي الذي اشتد الإقبال عليه خلال القرنين 12 و 13هـ، وكانت القيروان وفاس والزوايا العلمية في جنوب المغرب مراكز إشعاعه الأساسية.

وقد تعرض المذهب المالكي لهجمات متكررة في فترات تاريخية متلاحقة، فحاربه الأغالبة والفاطميون في تونس والموحدون في المغرب. فالأغالبة أرادوا نشر المذهب الحنفي لوحده في تونس معبرين بذلك عن الدولة المركزية في بغداد. والفاطميون حاولوا حمل المالكية على اعتناق المذهب الشيعي، والموحدون رأوا حمل المالكية على المذهب الظاهري.¹⁰⁸ فتعرض علماء المالكية للتعذيب وأحرقت كتبهم، وقد ورد هذا في عدة مصادر.¹⁰⁹

ولئن كان المذهب المالكي قد عرف مدا أيام سحنون وتلامذته من بعده، بعد تبني دولة الأغالبة¹¹⁰ في أيامها الأولى لفكرها وإفساحها المجال واسعا لأئمتها في القضاء والإفتاء والتدريس وبالتالي دخولها الحياة السياسية والاجتماعية مما كان له أكبر الأثر في ازدهار التفريع والتأصيل - فإنها كذلك قد عرفت جزرا شديدا أيام دولة بني عبيد التي منعت الفقهاء أن يفتوا بمذهب مالك ألا يفتوا إلا بمذهبهم الذي ينسبونه إلى جعفر بن محمد ويسمونه مذهب أهل البيت...¹¹¹

وبعد أن منع علماء المذهب من الفتوى والتدريس واستحر القتل فيهم بسبب اضطهاد العبيديين توجه أغلب من بقي منهم إلى التصوف، والابتعاد عن واقع الناس حتى صار تدريس التصوف هو موضوع الحلق بدلا من تدريس الفقه والأصول، قنوطا من تغيير الواقع أو محاولة لتربية الناس على الصبر والابتلاء، حتى لا ينزلقوا في كفة الشيعة، إلا أن المدرسة استطاعت أن تسترد بعض لمعانها بعد ما أزاح الله عنهم العبيديين، ثم بمجهود الإمام ابن أبي زيد القيرواني.¹¹²

أما بلاد الأندلس والمغرب وشنقيط (موريتانيا)، فقد كان لفكر هذه المدرسة (المالكية)، الصولة والجمولة فيها أكثر من أربعة قرون متوالية لا يناعه غيره، حيث احتضنته الدولة الأموية في بدايتها الأولى وصيرت القضاء عليه والفتيا، ثم احتضنته الدولة المرابطية وعظمت من شأنه حتى أصبح لأشياخه الحضوة لدى قادتها.¹¹³

لكن تلك الصولة ما لبثت أن فقدت بعد سقوط دولة المرابطين وحلول دولة الموحدين¹¹⁴ مكانها، حيث كان من أهداف هذه الأخيرة محو المذهب المالكي وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وقد حملهم ذلك إلى إحراق كتب المذهب المالكي،¹¹⁵ لكن المذهب المالكي عاد بقوة بعد سقوط الموحدين وصعود دولة المرينيين مكانها.

وخلص القول إن دخول المذهب المالكي إلى الصحراء جاء بعد شمال إفريقيا، وكانت بداية دخوله إلى الشمال الإفريقي في وقت مبكر أثناء حياة مالك نفسه، وذلك على يد تلامذته، أمثال: علي بن زيادة الذي يعتقد أنه أول من أدخل المذهب المالكي، وكذلك عبد الله بن فروج والبهلول بن راشد وعبد الله بن غانم وأسد بن الفرات وغيرهم.

1. العوامل الفكرية:

لوحظت هجرة أئمة المذهب المالكي حيث اتصلوا بأئمة من مذاهب مختلفة خاصة المذهب الشافعي، لتقوى بعد ذلك شوكة المذهب المالكي ويصلب عوده في المشرق على يدي الغزالي والرازي¹¹⁶ وغيرهما.¹¹⁷

وقد اتضح ذلك التأثير منذ رحلة الإمام الباجي وبعده ابن زيتون، حيث حاولوا الاستفادة من طريقة أئمة الشافعية الأصولية القائمة على حسن التقسيم وبراعة التعليل بل تجاوزت ذلك إلى الاستفادة من طريقة الترتيب الفقهي كما ظهر عند ابن شأس،¹¹⁸ حيث قلد الإمام الغزالي في وجيزه¹¹⁹ فنسخ على منواله كتابه المعروف بعقد الجواهر الثمينة، بل إن الأمر تجاوز ذلك إلى حد التقليد في الفروع، فقد ذكر خليل في مختصره مسائل اتبع فيها رأي ابن الحاجب متبعا فيها ابن شأس متبعا فيها الغزالي.

ولعل من الأسباب التي جعلت المالكية يفرعون إلى المذهب الشافعي بالذات، دون غيره من المذاهب الأخرى، هو التقارب الواضح والتشابه في الأصول، نتيجة لكون الإمام الشافعي كان من أكابر تلاميذ الإمام مالك.¹²⁰

كما اهتم المالكية بمؤلفات الشافعية كما فعل القرافي في شرحه لمحصول الرازي، كما فعل البناني¹²¹ وغيره في حاشيته على جمع الجوامع لابن السيكي،¹²² وفي المقابل أيضا اهتم الشافعية بكتب المالكية الأصولية، فنجد عضد الدين الإيجي¹²³ وشمس الدين الأصفهاني¹²⁴ وغيرهما، يشرحون مختصر ابن الحاجب الأصولي.

2. المدارس الفقهية الشنقيطية:

أولاً: مدرسة التقليد:

وتعتمد على الفروع، وبالأخص مختصر خليل، ويمنعون الاجتهاد: يقول ابن بونا وعالم للوقت إذ هو استدل بالذكر والحديث ضل وأضل.¹²⁵

ويقول سيدي عبد الله:

من لم يكن مجتهدا فالعمل منه بمعنى النص مما يحظر¹²⁶

ويقول محمد ولد محمدن فال:

وأهل مغرب عليهم يمنع غير الإمام مالك أن يتبعوا

لفقد غيره وكل خارجي عن نهجه فهو من الخوارج¹²⁷

ويقول النابغة القلاوي

والاجتهاد في بلاد المغرب طارت به في الجو عنقا مغرب¹²⁸

ثانياً: مدرسة الاجتهاد:

1. الاجتهاد العام:

وقد نادى بعض علماء شنقيط بالاجتهاد في قضايا الواقع المعاش وحث العلماء عليه ومن هؤلاء: المختار بن الأعمش¹²⁹ و باب بن الشيخ سيديا¹³⁰ والشيخ سيدي المختار الكنتي.

2. الاجتهاد التخريجي:

وهو القياس على فروع المذهب كقضية زكاة أموال الأتباع ومرجع الأحباس، وطعمية الصمغ العربي واستحلال أموال مستغربي الذمة، و حلية الشاي وزكاة الورق النقدي.¹³¹

كما ظل هناك جدل بين العلماء حول مسألة الاجتهاد بين مؤيد و مانع له، فعندما قال أحد الخليلين:¹³²

قبضت على ديني بنص خليل إن لآمني في ذاك كل خليل.

وإن سألوني عن دليلي وحجتي أقول خليل حجتي ودليلي.

وقد رد عليه الكنتي¹³³ بقوله:

قبضت على ديني بهدي الرسول وتلك لعمرى حجتي ودليلي

ومع ذلك فقد ظلت شجرة المذهب المالكي وارفة الظل على أهل شنقيط، فما خرجوا عنه قيد أنملة. حتى إن سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم ومع علو كعبه في علم الأصول ما خرج عن فقه مالك، في فتاويه وخطبه، وقضائه...

المطلب الخامس: الزوايا الصوفية في بلاد شنقيط

أ: تقديم: ظهرت الحركات الدينية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي كالسلفية في نجد بالجزيرة العربية والسنوسية في برقة بليبيا والثورة المهديّة بالسودان إلى جانب فكرة الجامعة الإسلامية والطرق الصوفية التي ظهرت في المشرق كالطريقة القادرية في العراق والطريقة الشاذلية والطريقة التجانية في الشمال الإفريقي وكان ظهور هذه الحركات نتيجة للشوائب التي أمت بالعقيدة الإسلامية.

فالتصوف إذن ظاهرة دينية وفهم معين للإسلام عرفه التاريخ الإسلامي، قوامه فلسفة روحية تركز على الذكر والاعتكاف وفق أساليب تربوية لتركية النفس وحملها على الطاعة.

وقد شاع وانتشر المذهب الصوفي في عصر الدولة العباسية، لاتساع الفتوحات وركون المسلمين إلى حياة الترف والبذخ مما ولد نفورا من تلك الحياة المادية

والاتجاه نحو الزهد والانقطاع للعبادة،¹³⁴ ولشيوخ العقيدة الفاسدة في بعض أقطار العالم الإسلامي الكبير.

وهكذا جاءت بدايات التصوف في المائة الأولى والثانية للهجرة متمثلة في الزهد والورع، ويمثله أفراد معينون، ولم يلبث حتى صار مذهباً قائماً على أركان، مدعمة بنصوص مؤولة من الكتاب والسنة يسمى "علم الباطن"، وقد تجسد في أبي الفيض ثوبان بن إبراهيم المشهور بذي النون المصري (ت: 985 م)، ورابعة العدوية (ت: 801م)، وغيرهما، وقد لقي هذا التيار (المذهب)، مناهضة شديدة أدت إلى اتهام أبي الغيث حسين المنصور الحلاج بالزندقة، وإلى قتله سنة 922م. ومع ذلك لم يتوقف مد هذا المذهب، بل في المائة الثالثة للهجرة بدأت تدوين أقوال مشايخهم، ومناقبتهم، فظهرت مؤلفات كاللمع للسراج الطوسي، وقوت القلوب لأبي طالب المالكي، وبعد نضج التصوف ظهر الإمام الغزالي في كتابه الإحياء.¹³⁵

وأهتم المستشرقون بدراسة العلوم العربية والشرعية وبالأخص علم التصوف، حيث تعطي الحركة لاستشرافية عناية فائقة بمؤلفات علماء المسلمين ومن هؤلاء المستشرق الفرنسي Xavier coppolanie (كزافي كوبولاني) الذي ألف في التصوف، عندما عمل ملحقاً إدارياً في الجزائر وبها درس العربية والعلوم الشرعية فألف كتاب الطرق الصوفية الإسلامية.¹³⁶

ب: الطرق الصوفية في بلاد شنقيط:

جاءت الطرق الصوفية كردة فعل على الشوائب التي ألمت بالعقيدة الإسلامية،¹³⁷ فظهرت القادرية في العراق والشاذلية في مصر والتجانية في شمال إفريقيا كغيرهم من الحركات الإسلامية.

ومن الظروف التاريخية -أيضا- التي شجعت على التصوف في بلاد المغرب ما حصل من: منع لعلماء المذهب من الفتوى والتدريس حيث استحر القتل فيهم بسبب اضطهاد العبيديين فتوجه أغلب من بقي منهم إلى التصوف، والابتعاد عن واقع الناس حتى صار تدريس التصوف هو موضوع الحلق بدلا من تدريس الفقه والأصول.¹³⁸

وفي بلاد شنقيط مرت العقيدة بمراحل كغيرها من الأقطار الإسلامية، فقد ظل مذهب السلف هو السائد في عهد المرابطين (448-542هـ)،¹³⁹ لتدخل بعد ذلك

الطرق الصوفية التي شاعت في القطر المغربي، ومن أبرزها: القادرية والتيجانية والشاذلية وتحدث المستكشف بلانشي¹⁴⁰ في تقريره، المعنون بـ: مهمة إلى آدرار (الشمال الموريتاني)، Rapport de mission en Adrar، عن عدة جوانب منها الحياة الدينية، والتركيبة الاجتماعية وقد تطرق للدور المهم الذي يتمتع به مشايخ الصوفية في تلك الفترة في منطقة آدرار، حيث يقول:

”أن موردي الطريقة القادرية في الشمال الموريتاني يتمتعون بنفوذ قوي في صفوف أتباعهم الكثير، ويذكر من بين الزعامات الصوفية ذات النفوذ الكبير في الشمال الموريتاني الشيخ محمد فاضل بن مامين الذي يعتبر مؤسس الطريقة القادرية الفاضلية“¹⁴¹. وقد عرفت البلاد الموريتانية ثلاثة أنماط من الطرق الصوفية:

1. الشاذلية:

نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي (ت 939هـ-1532م) ظهر في مصر، وبرز من مريديه في المغرب شيخ المحققين أحمد زروق (963هـ-1493م)، ثم محمد بن ناصر الدرعي (1036هـ-1626م)، وبهذين الشيخين تمر سلسلة الطريقة الشاذلية في موريتانيا¹⁴².

وهي محدودة الانتشار بل تقتصر على بعض العلماء والفقهاء الذين حازوا مرتبة من العلم ومن أبرز مشايخها: سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم وتلميذه الطالب أحمد بن أطوير الجنة وغيرهم.

ولهذه الطريقة عدة أحزاب منها: حزب البر وهو الشهير بالحزب الكبير ويقال له: الورد الكامل وغيرها¹⁴³ من الأوراد.

2. التيجانية:

وتنسب الطريقة التيجانية إلى الشيخ أحمد بن محمد ابن المختار بن سالم التجاني 1150هـ-1230هـ-1737-1815م نزيل فاس،¹⁴⁴ والذي ولد في عين ماضي بالجزائر وقد تلقى علومه الأولى في مسقط رأسه وأتمها في فاس عام 1171هـ-1748م ثم رحل إلى السودان الغربي حيث أقام خمس سنوات ثم رحل إلى تلمسان ومنها ذهب إلى مكة والمدينة سنة 1186هـ-1773م، ومن ثم عاد إلى القاهرة وقد دخل في عدة طرق كما التقى أيضا الشيخ حمد بن عبد الكريم السمان في المدينة

المنورة ثم عاد إلى تونس ثم تلمسان ثم فاس. وفي هذه الفترة قابل أهم تلاميذه علي حرازم بن العربي الفاسي المغربي مؤلف أهم مصادر التجانية – جواهر المعاني وبلوغ الأمانى، وعاش بعد ذلك في الصحراء حتى أشار عليه تلميذه أن يعود لفاس فجاءها سنة 1203هـ-1798م حيث ظل فيها حتى وفاته سنة 1230هـ-1815م وقد دفن بزوايته فيها.

وقد وصلت الطريقة التجانية في مدها إلى غرب إفريقيا بعد أن انضم الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب العلوي سنة 1830م إلى التجانية على يد مؤسسها مباشرة الذي عينه مقدما وخلفه على موريتانيا وما جاورها فقام محمد الحافظ بنشر الطريقة التجانية بين قبائل الشناقطة ثم وصلت إلى السنغال.

الذي عاد الى البلاد (1220هـ) وإليه يعود الفضل في نشر التجانية في هذه البلاد وقد بدأ بعمومته. كما برز من رجالتها الشيخ حماه الله التيشيتي، الذي ناصب الفرنسيين العدا، وتزعم ثورة كبيرة ضدهم في المناطق الشرقية من البلاد أدت بفرنسا إلى نفيه حيث مات في ظروف غامضة حوالي سنة "1943م".

وقد سارت التجانية في بداية أمرها على نفس أساليب القادرية في الدعوة¹⁴⁵ ثم تحولت إلى الجهاد بقيادة الحاج عمر الفوتي والذي يعد شخصية فذة ومن دعائم الفكر والثقافة في غرب القارة الإفريقية بل يعد المجدد الأول للطريقة التجانية في غرب القارة ومن ثم في السنغال.¹⁴⁶ وقد اعتمد الحاج عمر الفوتي على الطريقة التجانية كمنهج عقائدي في إقامة دولة إسلامية في غرب إفريقيا.¹⁴⁷

ولتتحول اليوم كغيرها إلى طريقة واسعة الانتشار، يحافظ منتسبوها على تلاوة الأوراد فرادى وجماعات، وتعتبر هذه الطريقة من أوسع الطرق الصوفية في موريتانيا انتشاراً، إلا أنها لم تسلم من بعض التحريف طالها من أيادي العامة كتفديس الأشخاص واتخاذها طريقة للتكسب.

3. القادرية:

وهي المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد (ت: سنة 561هـ-1167م)، وهو المؤسس للطريقة القادرية وينسب إليه قوله: "ويجب على المبتدئ في هذه الطريقة الاعتقاد الصحيح، الذي هو الأساس فيكون على عقيدة السلف الصالح"،

وقد ذكر بعض البدع، وحذر منها: مثل الأوراد، والتوكل الصوفي والفقر وصلوات الأيام والليالي¹⁴⁸ وغير ذلك.

وفي القرن التاسع الهجري كان الشيخ المباشر للقادرية الموريتانية الإمام عبد الكريم المغيلي (ت 940هـ-1533م)، الذي انتقل إلى بلاد السودان الغربي ومر ببلاد التكرور وهناك تتلمذ عليه سيد أحمد البكاي الكنتي الشنقيطي والذي كان يتخذ من ولادة دار استقرار له، وقد التقى ابنه سيدأمر الشيخ المغيلي وأخذ عنه ورد الطريقة القادرية كما أجمع كتاب المنطقة على إمامته وجهاده -أي المغيلي- في جميع ميادين الجهاد حتى قارنه النشار في ذلك بشيخ الإسلام ابن تيمية.¹⁴⁹

ويقول عنه بول مارتي ”إنه أبرز وجه ديني في ذلك العصر (...) وكان المغيلي هذا الرئيس الأعلى للطريقة القادرية في الغرب الإفريقي“.¹⁵⁰

ولم تبلغ القادرية أقصى مراتب الازدهار والانتشار إلا مع الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت: 1226هـ-1821م) واشتهرت شعبتهم بالبكاية الكنتية، والشعبة الثانية بالفاضلية نسبة: إلى الشيخ محمد فاضل بن مامين القلقمي ”1780-1869م“ الذي نشأ في منطقة الحوض الشرقي، ومن هناك انتقل إلى قرية اجريف الواقعة شمال مدينة شنقيط بولاية آدرار.

وهكذا انتشرت الطرق الصوفية في الربوع الشنقيطية، وظلت تحافظ على شعبيتها، وتبدي مواقفها في القضايا الكبرى خاصة مع مجئ الاستعمار حيث ظهرت زعامات تندد بتدخله وأخرى لا ترى فيه خطرا على البلاد.¹⁵¹ وسنتطرق لهذا بالتفصيل في الباب الثاني من هذا البحث.

* * *

الهوامش

- ¹ أستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية-موريتانيا.
- ² التعريفات، الجرجاني،تح: محمد صديق المنشاوي، ص: 216،المصطلح رقم: 2006، دار الفضيلة- القاهرة بدون السنة.
- ³ معجم الوسيط، تأليف: إبراهيم صطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، ج: 2، ص: 998 مجمع اللغة العربية القاهرة، دار الدعوة

⁴ Identity: The fact of being who or what a person or thing is. Oxford dictionaries: <http://www.oxforddictionaries.com/definition/english/identity>

- 5 صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، هنتجتون ص: 39 ترجمة طلعت الشايب، ط2، 1999.
- 6 العولمة والهوية الثقافية، محمد عابد الجابري. ص: 15 المستقبل العربي. ع: 228، 1998.
- 7 العولمة والهوية الثقافية، السابق. ص: 19.
- 8 بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987. ص: 18
- 9 "عرف صنهاجة الصحراء بالملثمين تمييزاً لهم عن بني عمومهم من حاسري الرؤوس والقاطنين أنداك في التخوم الشمالية للصحراء الكبرى" تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، حماد الله ولد السالم، ص: 29، منشورات الزمن، قضايا تاريخية العدد (9). 2007.
- 10 تعد صنهاجة أهم عناصر سكان المغرب الأقصى في العصر المرابطي فإلى جانب كثرة عددها لعبت الدور الحاسم في قيام دولة المرابطين. راجع: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، د. إبراهيم القادري البوتشيش، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص: 11-12.
- 11 فقه التمكين عند دولة المرابطين، على محمد الصلابي، ط1، 2006 مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، مصر.
- 12 كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبنانية للطباعة والنشر بيروت 1968، م6، ص: 373.
- 13 البار تيلي، الطالب محمد، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص: 26.
- 14 من كتاب مؤرخي تنبكتو الذين استخدموا هذه التسمية: محمود كعت في كتابه تاريخ الفتاش، وعبدالرحمن السعدي، في كتابه تاريخ السودان، راجع: وثائق من التاريخ الموريتاني، د. محمود ولد محمذن، منشورات جامعة انواكشوط، 2000.
- 15 تقع منطقة فوتا: "شمال شرق السنغال وجنوب غرب موريتانيا، ويشقها النهر السنغالي الذي ينبع من فوتا جالو، بغينيا عبر مالي متجها نحو المحيط الأطلسي ليلتقي به عند مدينة سانلوي السنغالية" وقد ظهر هذا الاسم في عهد الملك: ديبانكوبي" راجع الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي، عمر محمد صالح، ط1، ص: 40. و42.
- 16 موسوعة حياة موريتانيا، التاريخ السياسي، المختار ولد حامد الجزء 1، ص: 32.
- 17 مدن بلاد السودان: صنعانة، وتكرور، وسلي وقلنو وترنفة وزافقو، والفرويين وغانة، موسوعة حياة موريتانيا، التاريخ السياسي، المختار ولد حامد الجزء 1، ص: 31.
- 18 ويذكر مترجم كتاب: تاريخ فوتة أن "وارجابي" كان احد رؤساء مملكة "مانا"، راجع: موسوعة حياة موريتانيا، التاريخ السياسي، المختار ولد حامد الجزء 1، ص: 32.
- 19 "ومما يؤكد أن اسم تكرور كان يطلق على عموم منطقة السودان الغربي ما جاء في تاريخ الفتاش، فموقع تكرور في هذا السياق يعطي إنطباعاً واضحاً بأن المقصود هو إقليم السودان الغربي" الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي، عمر محمد صالح، ط1، ص: 42.
- 20 شنقيط تعني: (عيون الخيل)، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، 422.
- 21 الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، محمد بن الأمين الشنقيطي ص: 412.
- 22 بلاد شنقيط المنارة والرباط، سابق، ص: 72.
- 23 وثائق من التاريخ الموريتاني، محمود ولد محمذن، ص: 46، مشورات جامعة انواكشوط، 2000.
- 24 السابق، ص: 45
- 25 السابق، ص: 53-54

- 26 موريتانيا الحديثة، محمد يوسف مقلد، دار الكتاب اللبنانية، ط1، 1960، ص: 19.
- 27 ورد في كتاب (قادة فتح المغرب العربي)، أن الفينيقيين قد أطلقوا لفظ "أفري Afri"، على أهل البلاد المجاورة لمدينتهم القديمة (Utica)، وعاصمتهم الجديدة قرطاجنة، ثم أخذ عنهم اليونان هذه التسمية فأطلقوها على سكان المغرب العربي اليوم أي من حدود مصر حتى المحيط، ومن ثم سميت هذه المنطقة (أفريكا) أي بلاد الأفري، وأصبح هذا المعنى يتسع ليشمل كل المناطق التي خضعت لنفوذ الرومان في إفريقية، فأصبحت إفريقية القنصلية تضم ولاية إفريقية الأصلية والجزء الشرقي من تونس الحالية والمنطقة الداخلية التي تمتد حتى (فران)، أما بقية إفريقيا الرومانية فسمي الجزء المقابل منها للجزائر الحالية: نوميديا ويلى ذلك موريتانيا القيصرية والطنجية، راجع: قادة فتح المغرب العربي، محمود شيت خطاب، ص: 13-14، ج1، دار الفكر، ط1984، ص7. راجع كذلك كتاب: صفحات من تاريخ ليبيا والشمال الإفريقي، ص: 116، ط1، 1984، دار البيارق، عمان.
- 28 يراجع السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، دار الوراق، والمكتب الإسلامي، ص: 53.
- 29 بعد محاولات عديدة انتشر الإسلام بين قبائل السونينك، وانتشرت المساجد في جميع أنحاء مملكة غانا، حتى بلغ عدد المساجد في تنبكتو 12 مسجدا في وقت مبكر من دخول الإسلام إليها. للتوسع ينظر: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ص: 48، يراجع كذلك: تاريخ المجتمع السوننكي، علي ببكر سييسي، مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص: 38، 2012.
- 30 موسوعة حياة موريتانيا الجزء السياسي، ص: 21-22.
- 31 انتشار الإسلام في إفريقيا، ص: 16، يوسف فضل. دار جامعة الخرطوم للنشر، 1979م.
- 32 موريتانيا في الذاكرة العربية، ص: 54 د.حماد الله ولد السالم، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، حزيران-يونيو 2005.
- 33 كانت تعيش في المنطقة الصحراوية فيما قبل الإسلام عدد من القبائل أشهرها قبائل "كدالة"، لمتونة، مسوفة (وتوجد اليوم في موريتانيا قبيلة تحمل اسم "مشطوف" وهو تحريف للاسم الأصلي مسوفة)، وكانت أكدالة تعيش في غرب الصحراء (على شاطئ المحيط)، تليها من الشرق "لمتونة ثم مسوفة وهذه القبائل الثلاث تولف جزءا من شعب" صنهاجة الملتمين، ينظر موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، ص: 19.
- 34 قدمت هجرات بني حسان العربية إلى البلاد بعد القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.
- 35 شعر المقاومة الموريتانية ضد الاستعمار الفرنسي (من 1854 إلى 1960)، أطروحة دكتوراه، يحي بن محمدين الهاشمي، جامعة الشيخ أنتاجوب_داكار. ص: 17.
- 36 السابق. ص: 17، 18.
- 37 فقه التمكين عند دولة المرابطين، م.سابق ص: 15 و16.
- 38 المغرب الكبير ط1، الإسكندرية 1966م، ص: 692.
- 39 التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، حمدي عبد المنعم حسين، 1998م، ص: 38.
- 40 السابق ص: 41.
- 41 أبو عبد الله البكري، ص: 165-166، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب.
- 42 الثقافة العربية والإسلامية في غرب إفريقيا، عمر محمد صالح، ط1، 1993، ص: 58.
- 43 البيان المغرب في ذكر اخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري، ج4، تحقيق: د. احسان عباس يحي، دار الثقافة، ط3، ج4، ص: 9.

- 44 عبد الله ابن ياسين: هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي، أصله من قرية "تمامانوت. راجع: فقه التمكن عند دولة المرابطين، د. علي محمد الصلابي، ص: 21، ط 2006، 1). وأمه تنسب إلى قبيلة كزولة. ويعتبر بعض الدارسين أن تمامانوت هي ذاتها تامانازت، الواقعة في جنوب المغرب الأقصى، وأن معنى الكلمة هو "الجو الفاصل" باعتبار أنها تفصل بين منطقتين متميزتين من حيث المناخ والظروف الطبيعية الأخرى (صحراء الملثمين الناني ولد الحسين، ص: 359. راجع: فقه التمكن عند دولة المرابطين، د. علي محمد الصلابي، ط 1، 2006، ص: 22.
- 45 انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، حسن إبراهيم حسن، ص 99، القاهرة 1963.
- 46 راجع: ابن بطوطة تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار، ص 289، القاهرة 1322 هـ .
- 47 الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، أحمد محمد كاني، ص: 13.
- 48 يقول ابن رشد إن: "الحق لا يضاد الحق ولكن يعينه ويعضده". (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال)، ص: 35، دار الفكر بيروت 2007.
- 49 يحي بن محمد الهاشمي، شعر المقاومة الموريتانية ضد الاستعمار الفرنسي (من 1854 إلى 1960)، أطروحة دكتوراه، جامعة الشيخ أنتاجوب-داكار. ص: 20.
- 50 أحمد التوفيق، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي يعقوب السبتي، "تحقيق"، ص: 106، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1984
- 51 وقد كانت الأشعرية في القرن 4 هـ وحتى 15 هـ، هي الممثل لعقيدة "أهل السنة والجماعة بالمعنى الخاص" في غالب العالم الإسلامي. جلال محمد عبد الحميد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ص: 459، ط 1، بيروت 1982.
- 52 شعر المقاومة الموريتانية ضد الاستعمار الفرنسي (من 1854 إلى 1960)، أطروحة دكتوراه، د. يحي بن محمد الهاشمي، جامعة الشيخ أنتاجوب - داكار. ص: 21
- 53 أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي، البغدادي، عالم وأحد مشايخ الصوفية، سير أعلام النبلاء، م 14، 66، تحقيق أكرم البوشي وشعيب الأنزوط.
- 54 في العصر المرابطي كان بالفعل هناك نفور من علم الكلام، الإشارة إلى أدب الإمارة، المرادي (أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني)، تح: رضوان السيد، ص: 13 دار الطليعة بيروت. ط 1.
- 55 (أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني).
- 56 الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين الناني ولد الحسين، ص: 391.
- 57 مقدمة ابن خلدون ص: 230، ط 5، دار القلم بيروت لبنان.
- 58 تقي الدين أحمد بن علي، توفي: 845 هـ.
- 59 المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، 2، 358، نقلا عن السلفية وأعلامها في بلاد شنقيط ص: 221.
- 60 تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، السلفية وأعلامها في بلاد شنقيط (موريتانيا)، ص: 221.
- 61 لم تظهر العقيدة الأشعرية إلا بعد المرابطون، فالمرابطون لم يكونوا أشاعرة، موريتانيا في الذاكرة العربية، ص: 59 د. حماد الله ولد السالم، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، حزيران - يونيو 2005.
- 62 شعر المقاومة الموريتانية ضد الاستعمار الفرنسي، من 1854 إلى 1960، رسالة دكتوراه، د يحي لد الهاشمي.
- 63 موريتانيا في الذاكرة العربية، ص: 59، سابق.
- 64 بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص: 196.
- 65 الوسيط، ص: 282.

- 66 بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص: 196.
- 67 الوسيط: 217.
- 68 الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص: 197.
- 69: يحيى بن البراء: ألفية ابن مالك وأثرها في الثقافة الموريتانية ص: 7، بحث لنيل شهادة المتريز، المدرسة العليا للتعليم إشراف أحمد ولد الحسن/ انواكشوط 1981 - 1982.
- 70 السلفية في بلاد شنقيط، ص: 225.
- 71 رحلة ابن بطوطة، ص: 661، نقلا عن السلفية وإعلامها في موريتانيا، ص: 226.
- 72 الوسيط، ص: 518، السلفية وإعلامها في بلاد شنقيط، ص: 239.
- 73 وسيلة السعادة مخطوط، ص: 6، نقلا عن السلفية وإعلامها في موريتانيا، ص: 230.
- 74 أبو محمد بن يوسف الحسني السنوسي الفقيه، من أشهر علماء الأشعرية في بلاد المغرب، له مؤلفات كثيرة منها: الكبرى وشرحها والوسطى وشرحها والصغرى وشرحها، توفي في تلمسان 895هـ. محمد يوسف مقلد شعراء موريتانيا القدامى والمحدثين، ص: 465، والوسيط، 84.
- 75 هو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الأندلسي و الفاسي، له مؤلفات عديدة في العقيدة وعلم القراءات وعلم الكلام والأصول والفرائض وغيرها، توفي عام 104 هـ.
- 76 هو عبد الله بن محمد العلوي.
- 77 شرح ودراسة وتحقيق ديوان ابن رازكة، محمد سعيد بن دهاه ص: 15، 16.
- 78 هو: أبو محمد عبد الله بن أبي بكر التتواجيوي، فقه لغوي، أشعري العقيدة، له اليد الطولى في علوم القراءات، وقد وجد الناس يلحنون في القراءات في بلاد شنقيط ويصحفون في الحروف، فأزال اللحن والتصحيف عنهم، الخليل النحوي، ص: 112، والسلفية وإعلامها في بلاد شنقيط، ص: 237.
- 79 فتح الشكور: ص: 209-208، والخليل النحوي، ص: 112.
- 80 السلفية وإعلامها في بلاد شنقيط، ص: 237، فتح العليم في معرفة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم.
- 81 الخليل النحوي، ص: 111، والسلفية وإعلامها في موريتانيا، ص: 237.
- 82 السلفية وإعلامها في موريتانيا، ص: 238.
- 83 السلفية وإعلامها في موريتانيا: ص: 227.
- 84 السابق، ص: 227، وكذلك بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص: 73.
- 85 الوسيط: 578، بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص: 73، السلفية وإعلامها في بلاد شنقيط ص: 227.
- 86 السيوطي، الحاوي للفتاوى، م 287/1، 288 دار الكتب العلمية بيروت 1402هـ، نقلا عن: السلفية وإعلامها في موريتانيا، ص: 228.
- 87 السلفية وإعلامها في موريتانيا، ص: 229.
- 88 تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري: بيروت، لبنان، ط. 4، 1991، ص: 96
- 89 بحث مقدم للنودة الوطنية للتعريف بأعلام العلماء الموريتانيين (الرعي الثاني) المنعقدة في يوليو 2003 بالتعاون مع الأستاذ سيدي عبد الله بن المحبوبي. ص: 1.
- 90 نذير حمدان، المستشرقون سياسيون جامعيون مجمعون، ص: 80، 81، الناشر مكتبة الصديق للنشر، الطائف السعودية، ط1، 1988.
- 91 بول بلانشى أستاذ للتاريخ، عمل في تحقيق التراث العلمي في الجزائر وشارك في تأسيس الرابطة التاريخية لدراسة شمال إفريقيا، لينتقل الى الشمال موريتانيا في رحلة إلى ولاية أدرار، محمدمو ولد محمدمن، وثائق من التاريخ الموريتاني (نصوص فرنسية غير منشورة)، ص: 177-178، منشورات جامعة انواكشوط.

92 Rapport de mission en Adrar (Mauritanie) 1900, no: 4, 36p, séie: Affaires Politique . L'archive française

93 الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين، السلفية وأعلامها في موريتانيا "بلاد شنقيط"، ص: 123-124، ط1، دار ابن حزم بيروت 1995.

94 وعن علم مالك بن أنس: إذ لم يزاحمه أحد في المدينة التي كان فيها إماما مفتيا ومحدثا ومدرسا. فلم يزاحمه طيلة حياته فيها أحد، واشتهرت فيها القولة المأثورة "أيفتي ومالك في المدينة" غير أنه في آخر القرن الثاني الهجري ظهرت في العراق أولا، وفي مصر ثانيا حركة فكرية حاولت تأصيل المذاهب وتثبيت الأصول الاحتجاج في مسائل الخلاف. د. محمد المختار ولد أباه، مدخل إلى أصول الفقه المالكي، ص: 18.

95 دودود ولد عبد الله: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (17-18)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، 1992-1993، ص. 78.

96 أ. عبد العلي العبودي، "بعض الرواد الأوائل الذين ثبتوا مبادئ الفقه المالكي بالمغرب" من أشغال الندوة الأكاديمية الدولية حول: "المذهب المالكي في المغرب" من الموطأ إلى المدونة المنعقدة أيام 26-28 مارس 2008، فاس-المغرب، المجلد الأول، ص: 45.

97 مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، عمر الجيدي، 1993، ط1، ص: 14-16.

98 مرجعيات المدرسة المالكية الفاسية في العصر الوسيط وخصائصها العامة. نجم الدين الهنتاتي، مجلة التاريخ العربي، العدد 51، 2010.

99 صحراء الملتئمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط، سابق: ص: 387.

100 المسالك والممالك، البكري، جزء: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب: ص: 148، 149، 158.

101 صورة الأرض، ابن حوقل، منشورات مكتبة الحياة، بيروت 1979، نقلا عن صحراء الملتئمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط، سابق: ص: 388.

102 الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ابن أبي زرع، ص: 129.

103 المغرب عبر التاريخ، ابراهيم حركات، ص: 129، ج1، الجزء الأول، ط2، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1984.

104 ابن حوقل، ص: 91، نقلا عن صحراء الملتئمين، 388.

105 صحراء الملتئمين، ص: 388.

106 السابق، ص: 389.

107 موريتانيا في الذاكرة العربية، حماه الله ولد السالم، ص: 58، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، حيزان-يونيو 2005.

108 مباحث في المذهب المالكي، عمر اجيدي، ص: 41، 1993، ط1.

109 راجع: كتاب المدارك للقاضي عياض والخشني في طبقات علماء إفريقية والديباغ في معالم الإيمان وغيرهم.

110 نسبة إلى دولة الأغلبية: نشأت على يد ابراهيم بن الأغلب والي الدولة العباسية على بلاد إفريقية (تونس)، سنة 184هـ، واستمر من بعده في أولاده حتى سقطت على يد العبيديين كما سبق أن عرفنا سنة 296هـ. المذهب المالكي مدارسه ومولفاته وخصائصه وسماته، محمد المختار محمد المامي، مركز زايد للتاريخ

والتراث، ص: 107، ط1، 2002. راجع كذلك: الأغلبية وسياستهم الخارجية للدكتور محمود إسماعيل عبد الرزاق.

¹¹¹ المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته وخصائصه وسماته، محمد المختار محمد المامي، مركز زايد للتاريخ والتراث، ص: 107، ط1، 2002.

¹¹² المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته وخصائصه وسماته، محمد المختار محمد المامي، ص: 108 مركز زايد للتاريخ والتراث، ط1، 2002.

¹¹³ السابق ص: 109.

¹¹⁴ قامت هذه الدولة على يد المهدي بن تومرت سنة 515هـ، وكان الدافع الكبير لها عقدياً بالأساس، حيث كان المرابطون في أغلبهم أهل سنة، وكان المهدي على مذهب المعتزلة، حتى سقطت دولتهم على يد بني مرين 668هـ.

¹¹⁵ السابق ص: 110.

¹¹⁶ كان قائماً لنصرة الأشاعرة، ويرد على الفلاسفة والمعتزلة، وكان إذا ركب يمشى حوله ثلاث مئة تلميذ من الفقهاء، ولقب بشيخ الإسلام. محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري، توفي 606هـ.

¹¹⁷ خصائص المذهب المالكي، ص: 111.

¹¹⁸ هو محمد عبد الله بن شأس بن نزار الجذامي، صاحب كتاب عقد الجواهر الثمينة في مهيب عالم المدينة، توفي 610

¹¹⁹ الوجيز في فقه الإمام الشافعي.

¹²⁰ خصائص المذهب المالكي، ص: 111، 112.

¹²¹ هو عبد الرحمن بن حاد الله المغربي، تولى مشيخة رواق المغارب بالأزهر، توفي 1198هـ.

¹²² عبد الوهاب بن علي الكافي السبكي أبو نصر تاج الدين أحد علماء الشافعية من مؤلفاته: جمع الجوامع وطبقات الشافعية الكبرى، توفي 771هـ.

¹²³ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الأيجي أحد علماء أصول الفقه من الشافعية، توفي في السجن عام 756هـ.

¹²⁴ الأصفهاني هو شمس الدين محمود بن جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن حبي الدين بن أبي بكر بن علي الأصفهاني، أحد علماء الشافعية له مؤلفات منها: شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، توفي 749هـ.

¹²⁵ من قصيدة وسيلة السعادة في أصول الديانة، تقع في ألفي بيت خاصة بالعقائد، للمختار بن بونة (ت 1220هـ)،

¹²⁶ نثر البوند على مراقي السعود، ج 2، ص: 265.

¹²⁷ التاريخ القضائي وكبريات النوازل القضائية في موريتانيا، محمد ولد حمين، ص: 81.

¹²⁸ نظم بوطليحاية، النابغة القلاوي، تحقيق، يحي ولد البراء ص: 1.

¹²⁹ محمد بن المختار بن الأعمش، (1036-1107هـ)، له مؤلفات منها: المنن العديدة في شرح الفريدة، معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، سيدي محمد ولد محمد عبد الله ولد يزيد ص: 139، منشورات شعيدان تونس، 1996.

¹³⁰ (توفي 1342هـ-1924م)، له مؤلفات منها: إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين.

¹³¹ التاريخ القضائي ص: 81.

- ¹³² بين نصية المذهب المالكي والتحديات المعاصرة رسالة جامعية، الباحث: سيدي ولد الهاشمي، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، 2004، ص: 65.
- ¹³³ هو سيدي محمد بن سيدي المختار.
- ¹³⁴ ينظر: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، التليلي لعجيلي، (1881_1939)، المجلد 2، منشورات كلية الآداب بمنوبة، 1992.
- ¹³⁵ السابق، ص: 27-28.
- ¹³⁶ كما زار بلاد موريتانيا (منطقة الحوض)، راجع: الخليل النحوي، شفيط المنارة والرباط، ص: 327-328.
- ¹³⁷ في تاريخ العرب الحديث، رافت الشيخ، ط (3) دار الثقافة، القاهرة 1980م، ص 171.
- ¹³⁸ المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته وخصائصه وسماته، محمد المختار محمد المامي، مركز زايد للتاريخ والتراث، ص: 108، ط1، 2002.
- ¹³⁹ المعجب في تلخيص اخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ص: 202، تحقيق محمد يعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، ط1، القاهرة، 1367هـ.
- ¹⁴⁰ Rapport de mission en Adrar (Mauritanie) 1900, n: 4, 36p, séie: Affaires Politique. L'archive française.
- ¹⁴¹ وثائق من التاريخ الموريتاني، ص: 223، سابق.
- ¹⁴² تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص: 152، سابق.
- ¹⁴³ الطريقة الشاذلية وأعلامها، محمد درنيقة. ص: 21، ط/ الأولى 1410 هـ الناشر المكتبة الجامعية ببيروت.
- ¹⁴⁴ تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص: 153 سابق.
- ¹⁴⁵ الدعوة إلى الإسلام توماس ارنولد، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون ط 3 دار النهضة المصرية ، القاهرة 1971م ص: 366.
- ¹⁴⁶ مع حركة الإسلام والثقافة العربية في السنغال، مهدي ساتي صالح. إصدار رقم 12، المركز الإسلامي الإفريقي في الخرطوم 1991م ص: 31.
- ¹⁴⁷ احمد محمد كاني، حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر في دعوة الشيخ عثمان بن فودي، إصدار جامعة إفريقيا العالمية والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، الخرطوم 1995م.
- ¹⁴⁸ انظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية د. سعيد بن مسفر القحطاني ص: 644-655، ط/ الأولى 1418هـ.
- ¹⁴⁹ ترجمة الإمام المغيلي مقدمة تحقيق مختصر الفرائض للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني تح: محمد شايب شريف، دار ابن حزم ط1، 2012. راجع أيضا: حماه الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ص: 152، مشورات الزمن، قضايا تاريخية العدد (9)، 2007.
- ¹⁵⁰ كتنة الشرفيون، ترجمة محمد محمود ولد ودادي، ص: 33.
- ¹⁵¹ إزيد بيه ولد محمد محمود، (فصول في التاريخ السياسي الموريتاني الحديث)، ص: 279، 259-258 المطبعة الوطنية الموريتانية، 2001م.

Copyright of AL-NUR Academic Studies On Thought & Civilization is the property of AL-NUR Academic Studies On Thought & Civilization and its content may not be copied or emailed to multiple sites or posted to a listserv without the copyright holder's express written permission. However, users may print, download, or email articles for individual use.